بعد أن هدأت العاصفة:
(مصر، والجزائر، وكرة القدم)

فوجئ (المثقفون العقلانيون العرب) في نوفمبر، 2009، بأن لعبة كرة القدم بين مصر الشقيقة، والجزائر الشقيقة، فجّرت (المسكوت عنه) في (حرب داحس والغبراء) الكروية، باستعادة التاريخ، حيث بلغ (فن الردح) إلى درجة الصفر من العقل، بما يشبه الزلزال الثقافي، لأن كل مقولات (التنوير والنهضة)، كنستْها أقدام المشجعين من الطرفين، بدرجات متفاوتة، فأصبح بعض العرب يفكرون بأقدامهم، سواءٌ أكان ذلك في الملاعب، ومدرّجات الأنصار، أو في الفضائيات والصحف. الخطر الأكبر أن يتكرر الزلزال في أماكن أخرى، وفي أزمنة أخرى، فالمسألة ليست (سحابة خريف عابرة)، كما عبر أصحاب النيّات الحسنة، ما دام (العقل الحاراتي)، يلعب بالعقول والقلوب.

لهذا، فإنَّ دراسة هذه الحادثة بهدوء في مراكز الأبحاث، والمؤسسات الثقافية، والجامعات، دراسة علمية، أصبح أمراً ضرورياً، لأن مؤتمر جامعة فيلادلفيا، مثلاً، الذي انعقد قبل عامين، تحت عنوان: (ثقافة الحبّ والكراهية)، على سبيل المثال، لم يصل إلى نتيجة حاسمة.

– هنا، ننشر مقالات مختارة من زمن الانفعال (نوفمبر، ٢٠٠٩)، لنعيد قراءتها بعد هدوء العاصفة المفاجئة، وهي مقالات تنتقد ما حدث بموضوعية نسبية مع بعض الانفعال، الذي لازم الحدث. وبطبيعة الحال، لا تتبنّى جامعة فيلادلفيا، ولا (فيلادلفيا الثقافية)، أيَّة وجهة نظر من وجهات النظر، المنشورة في المقالات، والبيانات، سواءٌ توافقت معها، أم اختلفت معها، فنحن نترك للقارئ، مهمَّة الحكم عليها. أمَّا مقالات (فنّ الردح) لدى الطرفين، فقد تجاهلناها تماماً، لأنَّ (مصر عبدالناصر)، ساندت الثورة الجزائرية في كفاحها ضد الاستعمار الفرنسي، ولأنّ دماء الجزائريين، لم تجف بعد في (حرب الاستنزاف) و(حرب أكتوبر) مع أشقائهم المصريين ضدّ العدوّ المشترك، ولأنَّ النسيان للحادثة السيئة يقتضي، مراجعة نقدية من الطرفين.

(ع . م)

1. بيان اتحاد كتّاب مصر:

يأسف اتحاد كتاب مصر لما وقع من أحداث ومشاحنات في مباراتي الجزائر ومصر، ويرى أن ما حدث لا يعبر من قريب أو بعيد عن تاريخ العلاقة بين الشعبين الشقيقين، ويدين الشحن الإعلامي الزائد للجمهور، وتقديم معلومات خاطئة لإثارة الرأي العام، وتحويل حدث رياضي عابر إلى مناسبة لزرع الفتنة وإثارة الفرقة وتبادل الاتهامات. إن اتحاد كتاب مصر يناشد كل الأطراف ألا يخلطوا في العلاقات العربية بين الثوابت والمتغيرات، فالخلافات المتغيرة داخل الأمة العربية ما بين دولة وأخرى، لا يجب أن تهدد ثوابت العمل العربي المعتمد على التاريخ الواحد والمصير المشترك. إن أدباء وكتاب مصر أعضاء الاتحاد وهم يستشعرون الخطر المتربص بالأمة العربية، إنما يحذرون من الانسياق إلى اتخاذ مواقف انفعالية يمكن أن توسع الفجوة بين الشعبين، لأن الصراع والشقاق بين مصر والجزائر لا يخدم سوى أعداء هذه الأمة. إن ما يحدث في فلسطين المحتلة، والعراق، ودارفور، والصومال، وتهديد لبنان، واستمرار احتلال الجولان من قبل إسرائيل منذ ١٩٦٧ حتى الآن، والصراع الدائر على أرض اليمن، كل هذا يؤكد أننا لا نحتمل بؤرة جديدة للصراع يخلقها العرب فيما بينهم وبأيديهم.

إن هناك من القوى الخارجية التي تدفع بالأمة العربية دفعا إلى الصراع العربي/ العربي، وعلينا أن ننتبه لهذا ولا ننساق لتنفيذ مخططات العدو تحت ضغط الانفعال، وأن نهتدي دائما في علاقاتنا الثنائية بتضامن مصر مع الجزائر في حرب التحرير،

وتضامن الجزائر مع مصر في حرب أكتوبر، متذكرين الحديث النبوي الشريف الذي يقول: "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا".

إننا نناشد المصريين والجزائريين شعبًا وحكومة وأجهزة إعلام أن يتمسكوا بالحكمة، وأن يعملوا العقل، وأن يكون الأدباء والكتاب والمثقفون طليعة لغيرهم بدلا من الانسياق وراء الانفعالات، واتخاذ القرارات العصبية. ونطالب باتخاذ الخطوات الجادة لمنع تكرار تلك الأحداث المؤسفة، وأن تقوم كل حكومة بمحاسبة المخطئين بالقانون، وذلك حرصا على المصير المشترك، وعلى الوحدة العربية التي ستظل دائما هي طريقنا للغد .

> "إن هناك من القوى الخارجية التي تدفع بالأمة العربية دفعا إلى الصراع العربي/ العربي، وعلينا أن ننتبه لهذا ولا ننساق لتنفيذ مخططات العدو تحت ضغط الانفعال"

2. بيان بعض الفنانين والمثقفين المصريين:

إن الشعبين المصري والجزائري تربطهما أواصر وطيدة وعلاقات وثيقة منذ القدم تتمثل في وحدة الدين واللغة والتاريخ المشترك، فقد اختلطت الدماء المصرية والجزائرية في العديد من معارك التحرير. ومن ثمّ فإننا نحن فنأتي ومثقفي مصر نرفض وندين أحداث العنف المتبادل التي قامت بها (قلة من الغوغاء) في كلا البلدين، كما ندين الشحن الإعلامي غير المسؤول وغير المبرر الذي قام به بعض الإعلاميين من البلدين. ونحن نؤكد ضرورة ألا يتحول المثقفون والفنانون المنوط بهم قيادة الرأي العام إلى قطيع في صفوف الغوغاء، فنهوي جميعاً إلى مدارك لا يعلم مداها إلا الله. إن الفن والرياضة لهما أهداف سامية ترمي إلى ترسيخ القيم النبيلة والمبادئ السامية، وتوثيق عرى المحبة والتعاون بين الشعوب. لذا ينبغي أن نتسامى عن تلك الصغائر، وأن نبذل قصارى جهدنا لتأكيد روح الأخوة والتعاون بين الشعبين المصري والجزائري، وألا ننساق خلف تلك الحمى من العداء غير المبرر. كما نأمل أن تواصل (جامعة الدول العربية) جهودها في إجراء التحقيق المنصف الذي يبرز الحقيقة أمام الشعوب العربية ويطفئ نار الفتنة. إن علاقات الشعبين المصري والجزائري أكبر وأعظم من عبث العابثين ودعاة الفرقة والإثارة والتحريض وصنّاع الدسيسة الذين يلحقون أكبر الضرر بمصالح الشعوب العربية جمعاء.

3. بيان بعض المثقفين الجزائريين: لا للشوفينية

نحن المثقفين الجزائريين الموقعين أدناه، على مختلف آرائنا وتصوراتنا لواقع إدارة مؤسساتنا الوطنية وبخاصة الشبابية منها، نعلم الرأي العام الجزائري والدولي، بأننا نحتج وننند بأوضح عبارات الاحتجاج والتنديد بالأسلوب الشوفيني المقيت الذي أدارت به المؤسسات الإعلامية الرسمية والخاصة في كل من البلدين الشقيقين الجزائر ومصر، بكافة أنواعها المرئية والمسموعة والمكتوبة، تغطية مقابلة كرة القدم بين المنتخبين الشقيقين، هذه التغطية التي حولت التنافس الرياضي الأخوي النبيل إلى فتنة بين الشعبين الشقيقين، اللذين تمتد أخوتهما إلى قرون عديدة، وستظل هذه الأخوة قائمة إلي الأبد. إن الشعب الجزائري لا يمكنه أن ينسى لحظة واحدة أن (الإعلام المصري) كان مقاتلاً قوياً وسنداً مكيناً له في ثورته التحريرية الكبرى (١٩٥٤ – ١٩٦٢)، كما أن الشعب المصري ليس بإمكانه أن ينكر أن (دماء الجزائريين) سالت مدرارة في حربي الاستنزاف وأكتوبر، ضد عدوهما الوحيد المتمثل في المشروع الصهيوني التوسعي الاستيطاني. وهذا التلاحم لا يمكن أن تهزه بعض الممارسات الإعلامية والسياسية غير المسئولة في كل من البلدين، والتي برهنت بمعالجتها الشوفينية المقيتة، وبألفاظها، وعباراتها القاسية، وبتحريضها للشباب، وتحويل طاقاتهم الخلاقة في ملاعب التنافس الأخلاقي الرفيع، برهنتْ على سيرها نحو هاوية التخلف.

إننا كمثقفين جزائريين ندعو ونناشد الإعلاميين، وكذلك السلطات المعنية في البلدين إلى تبني خطاب إعلامي ومواقف تتميز بالرزانة والوعي برهانات المستقبل، وبالمخاطر الكبرى التي يمكن أن يؤدي إليها الخطاب الشوفيني المتشنج وغير المسئول، والذي يُعرِّض علاقة الشعبين التاريخية إلى الخطر من خلال نشر ثقافة الكراهية والضغينة، والحقد المتبادل، وتبقى ثقتنا عالية في أن الأحداث المؤسفة التي حدثت سيجرفها صمود الشعبين الشقيقين ووعيهما، كما جرف من قبل مؤامرات مماثلة، وفي الختام ندعو كل المثقفين إلي الالتحاق بهذا النداء. – الجزائر، ٢٠٠٩/١١/١٦.

– التوقيعات: مجموعة من المثقفين و الأدباء و النقاد الجزائريين.

4. صبري حافظ (مصر): خيال كروي لتخليق العداوات:

لا شك أن اندلاع موجة العداء والكراهية والتصريحات الغبية المتبادلة بين مصر والجزائر عقب مباراة السودان، أخطر كثيراً من عدم تأهل مصر للمشاركة في مباريات كأس العالم في العام القادم. لأن من المؤسف حقاً أن تؤدي هزيمتنا في معركة أم درمان، إلى دق طبول الحرب لمعركة الجزائر. فقد تسابقت الصحف والفضائيات إلى إشعال نيران تلك المعركة. وكنت أقرأ تلك الأخبار ولا أصدق عيني. فقد طالب نواب في البرلمان ورموز في قوى المعارضة الرئيس مبارك بقطع العلاقات الدبلوماسية مع الجزائر. كنت أقرأ هذه الأخبار، وأسمع تعليقات الفضائيات المصرية ولا أصدق ما أقرأه أو أسمعه. فهل انحصر حقاً حلم الثمانين مليون مصري – كما أكد الإعلام الرسمي – في هذا الخيال الكروي. هل استبدل بحلم الحرية والعدل الاجتماعي والتخلص من الفساد والاستبداد حلماً جديداً، يقال أنه حلم المصريين جميعاً، بالانتصار على فريق الجزائر الكروي؟ والغريب في الأمر أن الجميع يعرف. بما في ذلك من يدقوا طبول الحرب لمعركة الجزائر لأسباب تتعلق بالفساد البنينوي للنظامين – أنه حتى لو تأهلت مصر في هذه المرحلة، فإن من المؤكد أنها كانت ستخسر في المرحلة التالية. فلا يدور في خيال أي عارف بأمور الكرة في مصر وفي غيرها، أن لدى مصر أدنى احتمال للفوز بكأس العالم في كرة القدم، أو حتى للوصول إلى أي دور متقدم فيه. إن خسارتنا في موقعة أم درمان – بعد الخسارة الكبيرة في موقعة اليونسكو، وقبلهما صفر المونديال – تكشف عن وجود نسق متكرر يجعل الخسارة هي الأمر الطبيعي وليس العكس. وهو الأكثر تناسباً مع حالة التردي العامة والفساد المستشري في كل المجالات. ولم يحدث في كل مرة إلا القليل من ندب حظنا السيء دون أي بحث جدي عن سر هذا التردي البنيوي الذي تغلغل مع الفساد في شتى مناحي حياتنا. أما ما يحدث في معركة الجزائر فهو أمر كريه وغير مسبوق، وصل إلى حد سحب السفراء، والكشف عن أننا نكيل بمكيالين. فلم نسحب السفير أثناء الحرب الصهيونية البربرية على غزة، والتي أدانها قاض صهيوني متعصب – هو جولدستون – بأنها جريمة حرب. فكيف انتاب الخلل البوصلة المصرية؟ ولماذا أصبحت حقاً مصر مكروهة كما يتساءل النائب مصطفى الجندي في مجلس الشعب؟ وأضيف إلى سؤاله – في نوع من التذكير لمن لا ذاكرة تاريخية لهم. لماذا هذا العداء المتبادل – فأنا لا أنكر العداء على الجانب الجزائري؟ وقد كانت مصر حليف الجزائر الأول في حربها من أجل التحرير. كما وقفت الجزائر مع مصر بعد النكسة، ودفع أبو مدين ثمن جزء كبير من الأسلحة الروسية التي كان من الضروري شحنها على الفور لمصر لتبدأ حرب الاستنزاف، ثم أرسلت الجزائر عدة فرق للحرب مع الجنود المصريين في حرب أكتوبر.

كيف حدث هذا التحول الرهيب من تطوع الجزائري للموت من أجل مصر في حرب أكتوبر، إلى الاعتداء على المصريين ومطاردتهم في شوارع أم درمان والخرطوم؟ من المسئول عن هذا التحول الجذري؟ ولماذا نشارك، وخاصة النخبة الإعلامية وبعض شرائح من النخبة الثقافية، في تحويل الجزائر إلى عدو، بعد أن حولنا إيران من قبلها إلى عدو، بينما نتغاضى عن بشاعات العدو الحقيقي والأساسي لنا وهو دولة الاستيطان الصهيوني في فلسطين؟ أعداء مصر الحقيقيون ليس من بينهم الجزائر: فعدو مصر الرئيسي في الخارج هو دولة الاستيطان الصهيوني وكل من يناصر مشروعها اللعين، وفي الداخل الاستبداد السياسي والغيبوبة الدينية بصلفها الوهابي والفساد الذي أفقر مصر والمصريين، وأدى إلى تدهور كل مؤسساتهم. هناك بلا شك خيبة أمل عربية في مصر، ولكن هناك أيضاً بنية مشاعر عربية لا تزال سليمة برغم كل محاولات فبركة العداوات. إن استراتيجية الاهتمام بسفاسف الأمور هي الوجه الآخر للانصراف عن عظائمها. ويا ويل بلد يحول أصدقاءه الطبيعيين، بل أشقاءه إلى أعداء، ويتغاضى عن أعدائه الحقيقيين في الداخل والخارج على السواء!

5. عبد الباري عطوان (لندن): ثقافة الكراهية إلى أين!

تحتل أربع دول عربية المراتب الأولى في قائمة الدول الأكثر فسادا في العالم، إضافة إلى أفغانستان، حسب منظمة الشفافية الدولية، ولكن لم يخطر في بالنا مطلقا، أن تستخدم أنظمتنا الرياضة من اجل تحويل الأنظار عن فسادها ودكتاتوريتها القمعية، وبذر بذور الكراهية بين أبناء الأمة الواحدة، مثلما شاهدنا في الأيام العشرة السوداء الأخيرة، التي بدأت وانتهت بمباراتي فريقي مصر والجزائر، في تصفيات نهائي كأس العالم الصيف المقبل في جنوب أفريقيا. هذا المخزون الكبير من الكراهية الذي انعكس في تصرفات النخب السياسية والإعلامية في البلدين جاء مفاجئا بالنسبة إلينا، وربما لمعظم العرب الآخرين، بحيث يدفعنا لإعادة النظر في الكثير من المقولات حول الإخوة والروابط المشتركة، والانتماء الواحد للعرق والعقيدة. نحن أمام حرب حقيقية، وعمليات تجييش إعلامي ودبلوماسي لم يسبق لها مثيل، وكل هذا من أجل الفوز في مباراة كرة قدم بين فريقي دولتين وشعبين شقيقين، من المفترض أن الفائز من بينهما سيمثل العرب جميعاً في هذه المسابقة الكروية الدولية. عندما قرأت أنباء عقد الرئيس حسني مبارك اجتماعاً طارئاً لأركان دولته، ابتداء من مجلس الوزراء ومروراً بقائد جهاز المخابرات، وانتهاء برئيس هيئة أركان الجيش المصري، تبادر إلى ذهني أن مصر على

أبواب مواجهة مصيرية مع أعداء الأمة والعقيدة، ولم اصدق أن هذا الاجتماع غير المسبوق منذ الإعداد لحرب العاشر من رمضان أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣، هو لبحث كيفية الرد على (العدوان الجزائري المزعوم) في الخرطوم، الذي أسفر عن إصابة عشرين مشجعا مصريا. هذه ليست مصر الكبيرة العظيمة، حاضنة الأمة ورافعتها، وفخر العرب جميعاً بتضحياتها وإبداعاتها في الميادين كافة. هذه مصر أخرى لا نعرفها، وفوجئنا بها، وببعض سلوكيات أهل الحكم فيها، وحوارييهم خاصة، في وسائل الإعلام المقروءة والمرئية. الحكومة المصرية لم تسحب سفيرها في تل أبيب عندما اعتدت إسرائيل على لبنان مرتين، الأولى عام ١٩٨٢، والثانية في عام ٢٠٠٦، ولم تطرد السفير الإسرائيلي وتغلق سفارته في القاهرة، عندما اجتاحت قواتها قطاع غزة، واستخدمت الفوسفور الأبيض لحرق أجساد الأطفال والنساء، رغم أن هذا القطاع يخضع حتى هذه اللحظة للإدارة المصرية قانونياً، وثلاثة أرباع أبنائه يرتبطون بروابط الدم أو النسب مع أشقائهم في مصر. أن يعتدي (جزائريون) على أشقائهم المصريين العاملين في عاصمة بلادهم، فهذا أمر مستهجن ومدان وغير أخلاقي، وأن يقذف مشجعون (مصريون) حافلة الفريق الجزائري وهو في طريقه من مطار القاهرة إلى مقر إقامته، فهو أمر معيب أيضاً، ولكن لا هؤلاء، ولا أولئك يمثلون الغالبية الساحقة من أبناء الشعبين المصري والجزائري، وإنما قلة منحرفة موتورة حاقدة. الشغب الكروي أمر عادي يتكرر أسبوعياً في مختلف أنحاء العالم، بما في ذلك أوروبا «المتحضرة»، وهناك أمثلة لا حصر لها عن اشتباكات بين مشجعين انكليز وفرنسيين أو ألمان وروس، بل وبين مشجعي فريقين من المدينة الواحدة، يسقط فيها عشرات القتلى والجرحى، ولكن لا تتدخل الحكومات ولا تسحب سفراءها، وتترك الأمور في نطاقها الكروي. في اليوم نفسه الذي كانت تدور فيه أحداث الحرب الكروية المصرية الجزائرية على ارض أم درمان السودانية، تقابل منتخبا فرنسا وايرلندا، وفاز الأول بهدف من جراء لمسة يد من أحد مهاجميه (تيري هنري) أظهرتها عدسات التلفزة بكل وضوح، وأعيدت اللقطة مئات المرات على شاشات التلفزة العالمية، بل واعترف اللاعب نفسه أنه مارس الغش ولمس الكرة متعمداً، ولكن لم نر التلفزيونات الايرلندية تستضيف الكتاب والشعراء والفنانين والرياضيين الايرلنديين، لتوجيه أقذع أنواع السباب إلى الشعب الفرنسي أو حكومته، أو حتى للاتحاد الدولي لكرة القدم الذي رفض طلباً بإعادة المباراة تقدم به رئيس وزراء ايرلندا.

الحكومتان الجزائرية والمصرية تعمدتا صب الزيت على نار الأحقاد، وانخرطتا في عمليات تعبئة وتجييش لمشجعي شعبيهما ضد بعضهما البعض، لأسباب سياسية مريضة وغير أخلاقية. الحكومة المصرية كانت تريد فوزاً يشغل الشعب المصري عن الظروف المعيشية المزرية التي يعيشها، جراء الفساد والبطالة، وبما يسهل عملية التوريث، التي واجهت حملات شرسة عرقلت مسيرتها بعد دخول مدفعيات ثقيلة في المعركة ضدها، مثل السادة: (محمد حسنين هيكل، والدكتور محمد البرادعي، والسيد عمرو موسى).

الحكومة الجزائرية أرادت تحويل أنظار الشعب الجزائري عن النهب المنظم لثرواته، وتفاقم معاناته، وركوب أبنائه (قوارب الموت) بحثاً عن لقمة عيش على الساحل الأوروبي من البحر المتوسط، بسبب استفحال البطالة في بلد يعتبر الأغنى في محيطه، لثرواته الهائلة من النفط والغاز والزراعة والصناعة. كان القاسم المشترك بين النظامين المصري والجزائري واضحاً في إستاد المريخ في أم درمان، حيث تصدر ابنا الرئيس مبارك (جمال وعلاء) منصة الشرف، جنباً إلى جنب مع (شقيقي) الرئيس الجزائري اللذين مثلاه في المباراة. أليس هذا دليلاً إضافياً على المحسوبية، والتوجه نحو التوريث، والضرب عرض الحائط بالدساتير، وتقاليد الأنظمة الجمهورية المتبعة في العالم بأسره؟. وما نستغربه أكثر هو حال الغضب المصري الرسمي، وربما الشعبي أيضاً، تجاه السودان الشقيق، الذي ليس له في هذه الحرب ناقة أو جمل، ولم يستشر فيها، وإنما جرى فرضها عليه من قبل أشقائه الشماليين إيماناً منهم بوحدة وادي النيل، الذين اختاروا الخرطوم كأرض أهلها أقرب إليهم لاستضافة المعركة الحاسمة. الحكومة السودانية يجب أن تتلقى كل الشكر، لا اللوم، من قبل نظيرتها المصرية، لأنها نجحت، رغم إمكانياتها القليلة، في توفير أجواء أمنية طيبة، وسيطرت على حوالي أربعين ألف مشجع من البلدين وأنصارهما، ولم تحدث أي خروقات أمنية داخل الملعب أو خارجه، باستثناء اشتباكات محدودة، أدت إلى إصابة بعض المشجعين بجروح طفيفة، عولجت في حينها، ولم يمكث أي من المصابين ساعة واحدة في المستشفى. وحتى لو أصيب عشرون مشجعاً مصرياً نتيجة اعتداءات مشجعين جزائريين، وسكاكينهم، فإن هذا الرقم لا يذكر بالمقارنة مع مشاعر الكراهية المتأججة في أوساط الجانبين. كان من المفترض أن تقدر الحكومتان المصرية والجزائرية، الإدارة المتميزة لنظيرتهما السودانية للأزمة، ونجاحها في منع مذابح حقيقية على أرضها، لا أن تقدم الحكومة المصرية على استدعاء السفير السوداني لإبلاغه احتجاجاً على تقصير حكومته في حماية المشجعين المصريين بالشكل الكافي.

ختاماً نقول إننا شعرنا بالخجل، بل والعار، كإعلاميين ونحن نتابع الإسفاف الذي انحدرت إليه وسائل إعلام في البلدين، لم نتصور مطلقا أن يهبط مستوى بعض الزملاء إلى هذه المستويات الدنيا، من الردح والتحريض ضد الطرف الآخر وحكومته وشعبه. إنها سابقة خطيرة، يندى لها الجبين، نعترف فيها بأن نظامي البلدين صدّرا أزماتهما مع شعوبهما من نافذة مباراة كرة قدم، بإيقاع أقرب شعبين إلى بعضهما البعض في مصيدة الكراهية والأحقاد. لقد نجح النظامان بامتياز في مكرهما هذا، بينما يدفع الشعبان الطيبان، والأمة العربية ثمنه غالياً .

6. الطاهر وطّار (الجزائر): الجرح، وكلام العيب:

نشرت لي «صوت الأحرار» لسان حال حزب جبهة التحرير الوطني يوم مقابلة الخرطوم تصريحاً نبهت فيه إلى المخاطر التي تهدد العلاقات الجزائرية المصرية ونوَّهتُ بمواقف المثقفين المصريين التي قرأتها في أخبار الأدب وفي الأهرام وفي القدس العربي، ومؤكداً على أن فرنسا وجماعتها في الجزائر وفي مصر والتي ضرب اقتصادها بفعل تأزم علاقاتها مع الجزائر هي المستفيد على المديين القريب والبعيد. لقد سبقني الدكتور عثمان سعدي بيوم بمقال نشرته القدس العربي، وعلمت أن هناك لائحة توقع في الجزائر وتتداول بواسطة الإنترنت في نفس السياق. أعود إلى "ذكر ما جرى" وما يجري (كما تمكنت من متابعته بالغربة حيث أعالج) ببعض ملاحظات:

الواضح أن الأمور كلها دبرت على يد مصالح الأمن بتواطؤ عليّ، تماماً، كما تدبر الانتخابات الرئاسية أو البرلمانية (خلط أوراق. تسميم الجو. استفزازات إلقاءات القبض الخ). غريب أمر هذه العودة إلى أسلوب الخمسينات في معالجة القضايا الاستراتيجية بالسباب والشتائم بما في ذلك التعرض لمقدسات الجماهير والشعوب والأمم. وهذا السقوط السريع في الأساليب الولدانية والانبهار بالصغائر (يحكى أن مشرقياً يجلس كل يوم أمام باب متجر يبيع الزيت، وكان كثيراً ما يعطس فيبادره صديقه الجزائري: رحمك الله يا أخي. ينبري المشرقي بإلقاء خطبة مطولة عن الرحمة والجنة والوالدين والجنة والعسل الخ...ذات يوم توجب على الجزائري أن يعطس... أخفى رأسه قدر الإمكان، لكن سمعه صاحبه فبادره بخطبة عصماء جديدة...احتار الجزائري كيف يرد ديونه الكثيرة، لحظات، ثم حسم الأمر: يرحم والديك والباقي خذه زيتا...). ولا أظن أن المنظمين المصريين يجهلون طبيعة أحفاد طارق بن زياد بمقولته: العدو أمامكم والبحر وراءكم، وقتلة عقبة بن نافع، وأحفاد الكاهنة التي أحرقت الأرض بعد أن غلبها الفاتحون. إننا لا نعرف الوسطية، ننتقل من السنة الأباضية، ثم إلى الشيعية ثم نعود إلى السنة...ندفع ثمناً غالياً لكن لا نبيت على غيظ. قلت في إحدى رواياتي: إذا أدخل الجزائري يده في جيبه، فلأحد أمرين لا ثالث لهما، إما أن يستخرج نقوداً ليكرمك، أو خنجراً ليطعنك. ولن تخرج يده بيضاء من غير سوء...وإن أسوأ ما يمكن أن يلحق الإنسان البربري هو الإهانة أو ما ينعت بالحقرة. وأعتقد جازماً أن مصالح الأمن المصرية حاولت أن تلعب على هذه الأوتار، باللجوء على أسلوب المجاهد أحمد سعيد، فخانها الحظ عندما لم يقاطع الجزائريون المقابلة، وعندما لم يتمكنوا من زعزعة الصمود الجزائري بتسجيل هدف الفوز، في القاهرة. (لقد كان يمكن أن يكتفوا بحفظ ماء الوجه...بما حققوا وهو ليس بالقليل، فالفريق المصري رغم براعة لاعبيه، ورغم حنكة طاقمه الفني، وعلى رأسه الأستاذ شحاتة...هذا الفريق القوي مستنفد بدنياً وتكتيكياً...). أعتقد جازماً كذلك أن الاستراتيجيين الرياضيين المصريين نبهوا المسئولين إلى أن الخسارة في السودان واردة...ما جعلهم يجندون الفنانين الأبرياء وفي مقدمتهم أحمد بدير وهو أحد المحبوبين جداً في الجزائر، لإظهار براءة المشجعين المصريين، وللتمثيل بهم أمام الكاميرا. لو أن المسألة وضعت في إطارها اللعبوي، كما توضع أية مقابلة بين الأهلي والزمالك، أو بين تيزى وزو والحراش لجرت الأمور في هدوء وأمان. غير أننا من الخليج إلى المحيط، نمتلك سلطات ولا نمتلك دولاً لها استراتيجيات ولها آفاق ولها عمق. نخاف على السلطة ولا نخاف على الدولة.

كلمة أخيرة، هي أن الجزائري المعاصر لا يعرف مصر جمال عبد الناصر، إنما يعرف مصر السادات، ومصر المواقف الاعتدالية، من إسرائيل ومن غزة، ومن إيران. يروى أن أسدا طلب يد فتاة عشقها اسمها صبرا فقالت له بكل صراحة: لا. فمك أبخر..أجبرها على أن تضربه بالساطور بين عينه..غادرها وبعد سنوات عاد إليها قائلاً رداً على طلبها هي الزواج منه: الجرح يبرأ وكلام العيب ما يبرأ يا صبرا. حجمت مصر قيمتها وضيقت الخناق على نفسها وأعطت سلاحاً فعالاً لأعداء العروبة في الجزائر، وأخرتنا ما يزيد عن ستين سنة حين اهتاج الشعب الجزائري غضباً على فريد الأطرش الذي تجاهل في بساط الريح الجزائر. لك الله يا مصر ولك الله يا جزائر. ويا عروبة.

7. واسيني الأعرج (الجزائر): في محبّة مصر: موجوع أنا من هذه الحرب الخاسرة... الجزائريون ليسوا قتلة، والمصريون ليسوا عملاء.

– أحاول أن أكتب وأتتبع الفضائيات المصرية، والصحافة الجزائرية المكتوبة، وأشعر بنفسي غريباً وحزيناً وسط ضجيج قاتل غطى على كل حكمة وتبصر. هل يعقل أن تختزل مصر العظيمة التي منحتنا الكثير من السعادة الثقافية في وجوه ما زلنا إلى اليوم نفتخر بها ونعتبرها مناراتنا الثقافية، في كرة قدم لا تتعدى لحظة شجنها وحبها وصراعها التسعين دقيقة؟. وهل يعقل أن يتحول شعب بكامله بشهدائه إلى مجموعة من الزعران والإرهابيين والقتلة؟. كيف أتوازن أنا الذي كان لوالده وأعمامه شرف الانضمام إلى قافلة المليون ونصف المليون شهيد؟. كيف أقبل أن تبتذل صورة مصر المقاومة التي اخترقت المستحيلات في حرب ٧٣ ضد الكيان الصهيوني مدمرة خط بارليف المستحيل؟ إلى صورة باهتة للعمالة؟. هل يعقل أن يكون الجزائريون أميين وعاجزين لغويا في وقت نعرف

فيه أن التواصل بين بلدينا فتح المسالك لعلماء لغويين وفقهاء صوفيين ليعبروا نحو الكنانة لتقاسم العلم والصوفية والعروبة؟.

– أكاد لا أصدق كيف أصبحت مصائرنا بين أيدي إعلاميين عاجزين يفترض أن يحاكموا في مصر والجزائر، لا أن يصمت على ممارساتهم. هم سبب الحرائق التي مست كل القطاعات. مندهش كيف ينغمس الكثير من المثقفين والفنانين في عمق اللعبة؟. ألم يكن من المفترض الرد على ذلك بصرامة، بعزل رواد الفتنة والخراب، الذين لا حساب لهم في النهاية إلا عدد زوار القنوات أو عدد مقتني جرائد الفتنة. موجوع أنا من حرب خاسرة من أولها إلى آخرها التي لا شيء من ورائها إلا مزيداً من الأحقاد طعمها النهائي في الأخير الناس البسطاء في البلدين الذين ينتظرون حلولاً حقيقية لمشاكلهم ولبؤسهم اليومي. ستنتهي الكرة، ستنتهي الأفراح والأحزان، ونعود من جديد لنفتح أعيننا على تخلف مدقع، وعلى أنظمة عربية متهالكة، وخوف لا نحسد عليه من المستقبل. ثم ماذا لو فاجأنا العالم بخيار أمثل وعظيم ؛بفريق كروي مشترك يمثل العرب في أكبر تظاهرة رياضية عالمية؟. فريق واحد يتبادل فيه (الحضري) مواقع الحراسة مع (الوناس قواوى، وزياني وأبو تريكة) مواقع الهجوم ووو... وعلى نفس المنصة يجلس الشيخان الحالمان بالكأس الأخيرة: (شحاتة، وسعدان) برصانتهما وحكمتهما؟. يبدو الاقتراح مضحكا وبعيد المنال في ظل الضغينة المستشرية، مع أنه بشيء من السخاء، كنا اقترحنا على الفيفا، وناضلنا من أجل تمثيل عربي موحد وكبير وخرجنا بسرعة من منطق الحروب والعداوات الرخيصة؟. موجوع إذ لا قوة في الدنيا تمنعني من حب مصر العظيمة، مصر التي أعرفها من رجالاتها التاريخيين العظام الذين غيروا وجه الوطن العربي، ومنحوه فرصة الحلم والتثقف، واللقاء مع الآخر، والليبيرالية، وحب التقدم، وحرية المرأة. ولا قوة في الدنيا تنتزع مني حق حب جزائر ما تزال رفاة شهدائها بعد مرور قرابة نصف قرن من الاستقلال، تذكرنا باستماتة أهاليها، عرباً وأمازيغ، من أجل حق لا يموت. لا قوة تمنعني من الدم المشترك الذي جمع الشعبين في الحروب القديمة والحديثة. لا قوة في الدنيا تستطيع أن تمزق (هذه الثنائية العظيمة التي تكونني) وتعطي معنى لخياراتي الحياتية .

8. إلياس خوري (لبنان): (جبلو) وموقعة أم درمان!

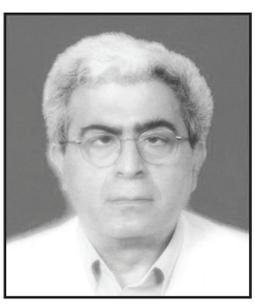

شرّ البلية ما يُضحك، مثلما قالت العرب من زمان. والحق أن عرب العصر الحديث امتهنوا البلايا المضحكة، بحيث صارت التراجيديا مجرد كوميديا بائسة، يتم اجترارها مراراً وتكراراً. فالمتابع لا يستطيع أن لا يشعر بالمهانة، وهو يستمع إلى حكاية الجسر الجوي الذي أقامته مصر والجزائر إلى أم درمان. قلت فُرجت، انتهت مأساة دارفور، فالإخوة العرب قرروا حسم المسألة. لكن الهدف لم يكن دارفور، قلنا ولم لا، ربما قرر العرب مواجهة المجاعة في السودان، أو ربما أرادوا لأم درمان أن تكون محطة على طريق وأد الفتنة الشنيعة في اليمن السعيد، ومنع ارض الأجداد من التفكك. بالطبع لم يذهب بنا الخيال إلى غزة، كأن يكون إعلان الجسرين الجويين إلى السودان خدعة، ويكون الهدف فك الحصار الإسرائيلي الإجرامي عن القطاع. فلسطين لم تعد على جدول أعمال الزعماء العرب، لكن المفاجأة التي أعدها حكام مصر والجزائر كانت رياضية. فالجسران الجويان، هما من أجل نقل المشجعين إلى السودان، بهدف حسم موقعة أم درمان في كرة القدم، بين المنتخبين المصري والجزائري. قلنا لم لا، لا شك أن العرب ربحوا كأس العالم، أو هم في طريقهم إلى ذلك. ومع الجسرين الجويين ارتفعت لغة الكراهية، وإحراق الأعلام والاعتداءات. واستمعنا إلى تحريض يندى له الجبين، ورأينا السكاكين ترتفع في الفضاء، والاستغاثات تتوالى، وقادة الدولتين قبضوها جداً. أي أن المشكلة التي يمكن أن يسببها الرعاع من المتفرجين، تحولت إلى مسألة تتعلق بأمن الدولة، اقتضت تدخل الرئيسين ليس من أجل إطفاء الحرائق، بل بهدف إشعالها. وتساءلت بيني وبين روحي، عن سبب هذا النزاع الدموي على البطاقة العربية الوحيدة إلى مونديال ٢٠١٠ في جنوب إفريقيا. كل ما في الأمر إن الفريق العربي الرابح سوف يخرج من المونديال بخفي حنين كالعادة. إي إن هذه الحماسة الهستيرية هي من أجل أن يكون الرابح العربي أول الخاسرين في المونديال!. ماذا يجري إذاً؟. ولماذا هذه الكوميديا السوداء، وهذه البهدلة، وهذا الحقد على الذات؟. أغلب الظن أن المسألة تتعلق بجيلو. وجيلو ليست ملعبا لكرة القدم، بل هي ملعب الكرامة العربية.

الذين لا تعنيهم الكرامة وقتلهم العجز عن إغاثة المستغيث، قرروا هدر كرامة شعوبهم في ملعب المريخ في أم درمان. أما (جيلو وأخواتها) فمسألة لا علاقة لها بهذه الأعلام التي لوحت في الفضاء. وجيلو اسم مستوطنة يهودية في الضفة الغربية قررت إسرائيل توسيعها، وإضافة ٩٠٠ وحدة سكنية إليها، بهدف خنق القدس، في سياق الاستيلاء النهائي على المدينة، وإقامة عازل جغرافي بين شمال الضفة وجنوبها. إما اسم جيلو، فليس غرائبياً كاسم ملعب المريخ في أم درمان. الاسم تحوير إسرائيلي لاسم قرية فلسطينية تدعى (بيت جالا)، أقيمت المستعمرة الإسرائيلية على أراضيها المصادرة. لكن العرب فضلوا أن يخوضوا معركتهم الفاصلة في ملعب المريخ، بدلا من خوضها في جيلو. لا شك أن ابتلاء الأمة الأكبر ليس بعدوها الذي يعمل على تركيعها وإذلالها كل يوم، فما تقوم به إسرائيل متوقع ومنطقي. لكن البلاء يأتي من حكام الفشل والضعة والنهب والذل. لن يصدّق من سوف يقرأ تاريخ هذه المرحلة مبلغ الإذلال الذي يتعرض له الحكام العرب.

حين تتحول مصر إلى (رجل المنطقة المريض) وتتخلى طوعا عن دورها، وترى كيف يحل الأتراك والإيرانيون في مكانها.وحين تفقد الجزائر دورها الإفريقي، وتصير مريضة بالقمع والجيش والفقر. وحين تهدر الكرامة وتتهاوى القيم. عندها لا يكون أمام النظامين المصري والجزائري سوى الهرب من جيلو إلى ملعب المريخ، وتتحول الرياضة، كغيرها من مظاهر الحياة العربية، إلى مسخرة. لن نقول للأنظمة العربية هذا معيب، ونناشدها التوقف عن لعبة العيب التي لا تتقن سواها. مناشدة الأنظمة أو انتظار أي شيء منها صار هو العيب. المسؤولية (هي مسؤولية الشعوب العربية، ومسؤولية النخب الثقافية) في كل مكان من ارض العرب. تعالوا إلى جيلو أيها العرب، هنا تقع المأساة، أما في أم درمان فلن تجدوا سوى المهزلة .

9. د. محمد صالح المسفر (جامعة قطر): العرب وإسرائيل وكرة القدم

(١)

كغيري من شرفاء أمتنا العربية المجيدة، أصبنا "بالصدمة والترويع"، جراء أحداث كرة القدم بين الجزائر صاحبة المليون شهيد، ومصر صاحبة السبعة آلاف عام حضارة، وحمدت الله عز وجل كغيري أنَّ مصر ليست على حدود الجزائر. أذكر كل العقلاء في عالمنا العربي، أن أمريكا عندما أرادت التقارب مع الصين الشعبية في عهد نيكسون، كان مفتاح الاقتراب هو الفرق الرياضية. وعندما أرادت أن تفتح نوافذ تواصل مع جمهورية إيران الإسلامية، كانت النوافذ رياضية. وأذكر جيداً في أواخر خمسينيات القرن الماضي وإبان الثورة الجزائرية أن فريقاً رياضياً جزائرياً (كرة قدم) كان يجوب بعض العواصم العربية من أجل إقامة مباريات يعود ريعها لصالح الثورة الجزائرية، وذلك منعا للتسول، كما يفعل إخواننا في رام الله اليوم، وقدر لي مشاهدة إحدى تلك المباريات وآثر الفريق المضيف أن يجعل الفوز من صالح الضيف دون الإخلال بسير المباراة ومهارة اللاعبين .

أستدعي هذه الأحداث للتأكيد بأن الرياضة أياً كانت من أولويات أهدافها، إلى جانب أمور أخرى، تحقيق مبدأ العقل السليم، وسمو الروح وعلو الخلق والقبول بالنتائج بصدور رحبة، وتمتين العلاقات بين الشعوب. لكن ما حصل في مقابلة الفريق الجزائري مع شقيقه الفريق المصري سواء في القاهرة أو أم درمان كان على النقيض من ذلك. في الملعب كانت الحرب واضحة بين الفريقين، سلاحها الأقدام والأكتاف، كان يؤجج تلك الحرب الكروية إعلام موبوء، يكاد يكون أخطر من أنفلونزا الخنازير، كان للقيادة السياسية المصرية في أعلى مستوياتها اليد الطولى في تأجيج الإعلام الموبوء، لأن حضور رئيس الجمهورية للجلوس ومداعبة اللاعبين، وحضهم على تحقيق النصر المبين قبل المباراة بمعية وسائل الإعلام ومن بعده "ولي عهده المنتظر" السيد جمال ثم السيد علاء، وتبعهم بعد ذلك رهط من الأسباط، ورموز الحزب الحاكم. وفي تقديري أن تلك الزيارات ليست من أجل التشجيع الرياضي، وإنما كانت دعاية انتخابية لحزب الرئيس .كان الجمهور مشحوناً وانصرف عن كل همومه الحياتية وكأن القدر سينقذه من كل همومه عندما تسجل الأهداف المصرية في بوابة الفريق الجزائري.إني أستطيع القول بلا تحفظ أن كل ما جرى في القاهرة والخرطوم والجزائر، كان (جريمة قومية) يتحمل النظام السياسي نتائج تلك الجريمة.

(٢)

والحق أنني لم أكن أنوي تناول هذه الجريمة في هذه الزاوية، لكن ما أثارني وأزعم أن الكثير من المتابعين لهذا الشأن يشاركونني الرأي، هو ما نشرته "الأهرام" على صفحتها الأولى أن الرئيس حسني مبارك استدعى كبار قيادات الدولة ورئيس مجلسي الشعب والشورى، وأنه لم ينم طيلة ذلك الليل، حتى اطمأن على سلامة المشجعين المصريين في السودان، وأن "ولي العهد المنتظر" جمال مبارك، ومعه المهندس (أحمد عز) أمين التنظيم في الحزب الحاكم، كانا يشرفان على عملية الإخلاء من السودان، وأن الرئيس كلف وزير خارجيته، باستدعاء السفير الجزائري في القاهرة، وسلمه مذكرة احتجاج ومطالبة الحكومة الجزائرية بحماية المصريين هناك. هذه الأفعال تعمق الجراح بين الشعبين الشقيقين، أضف إلى ذلك ما ردده البعض في وسائل إعلام مصرية، بأن مدير الفريق الجزائري يهودي الأصل، والسؤال ما فائدة هذا القول لمصر وهي تستقبل رئيس دولة إسرائيل؟. في (الجزائر) كانت ردات الفعل الرسمية مختلفة، إذ أن الممثل الشخصي لرئيس الجمهورية قال "إن ما يربط بين الشعبين أكبر بكثير من أن يتأثر بانفعال بعض المصريين، والحكاية في النهاية مباراة كرة قدم، وأن الجزائريين في مصر كانوا ضيوفاً ولم يكونوا معتدين"، ولا جدال بأن في الجزائر غوغائيين كما هو الحال في مصر لكن عندما يكون على أعلى المستويات فذلك غير مقبول .

(٣)

كل غيور على مصر العربية، أحزنه بل جرح في كبريائه، عندما استقبل الرئيس مبارك، رئيس دولة إسرائيل بيريس في نفس الزمن الذي يشن فيه الطيران الإسرائيلي حرباً على قطاع غزة المحاصر مصرياً وإسرائيلياً. والموساد يجوب المدن في الضفة الغربية ويعتقل العشرات، والتوسع في الاستيلاء على مدينة القدس، وهدم منازل الفلسطينيين فيها، والرئيس مبارك في خطابه الأخير راح يهدد إيران بالويل والثبور، وكأن إسرائيل ليست العدو المخيف. لقد أفرحنا قول الرئيس مبارك: "إن كرامة المصريين من كرامة مصر، ومصر لا تتهاون مع من يسيء إلى كرامتها). السؤال ألم تسء إسرائيل إلى كرامة مصر، بقتلها جنوداً مصريين من وقت إلى آخر في سيناء؟، والتآمر عليها في أعالي النيل لحرمانها من المياه؟، ومحاصرتها لقطاع غزة؟

آخر القول: مصر العظيمة أكبر من نتيجة لعبة كرة قدم.

10. جريدة (أخبار الأدب) المصرية: عندما تحولت الكرة إلى كراهية!

مذهل، هذا الذي صارت إليه العلاقات بين شعبي مصر والجزائر. استعادة الأحداث خلال فترة المباريات الثلاث بين فريقي البلدين في الجزائر والقاهرة والخرطوم، تقود إلى الجنون. بدا الأمر كما لو أن كرة من النار تنمو بين الشعبين الشقيقين وتنطلق لتحرق كل ما تجده في طريقها، من دون أن تصادف حارس مرمى يتلقفها بيديه أو يدفعها خارج المرمى. المعروف أن العنف أمر وارد بين مشجعي الكرة في كل أنحاء العالم، وهناك دول مثل إنجلترا صار مشجعوها علامة في هذا الميدان، وأصبحت كل دول أوروبا تتحسب لما سيرتكبون من عنف عندما يشرفونها بالزيارة، ومعروف أيضاً أن العلاقات السياسية بين أي بلدين قابلة للفتور، وللسوء إلى حد القطيعة. ومعروف أيضاً أن شعبي مصر والجزائر يعانيان من إحباطات عديدة قد تجد متنفسها في افتعال عدو كي تخصه بكراهيتها وتنفس في استهدافه غضبها. كل هذا معروف ويمكن التعامل معه على حدة، أي أن يؤخذ العنف الكروي في حدوده، وأن تتعكر العلاقات لتصفو من جديد على أيدي الرسميين الذين عكروها، أو أن تبحث الجماهير عن هدف تقدر عليه وتصرف فيه غضبها. لكن اجتماع كل هذا مع إعلام غير مسؤول، وفي ظل ظاهرة الوسائط الإعلامية الحديثة المنفلتة مثل المدونات والفيس بوك وتعليقات القراء في مواقع الصحف والفضائيات، جعل من الغضب الكروي حرباً أخرجت أسوأ ما في الشعبين، وكشفت عن التراجع المخجل للثقافة والعقل في حياتنا، وتقدم الغوغائية لتقود! وبعيداً عن الغضب الكروي، وبصرف النظر عن تردي العلاقات المصرية الجزائرية (على خطورته) فقد ظهرت كوارث ثقافية نشكر الأزمة المخجلة لأنها كشفتها وأخرجتها إلى العلن، لكي يتصدى لها عقلاء الأمة، وأن يتقدموا ليفرضوا كلمتهم. وأولى هذه الكوارث كان استهداف مفهوم العروبة، الذي كان عرضة لتنصل عدد كبير ممن تحدثوا أو كتبوا على ضفتي نهر الغضب في مصر والجزائر. وثاني الكوارث كان التعميم غير الإنساني وغير العلمي في إلصاق التهم بشعب كامل. كل الشعوب، وليس المصري والجزائري فقط، فيها المفكرون والأدباء والعلماء والجهلة، فيها الشرفاء وفيها اللصوص والمومسات، فيها القديسون والأولياء والملحدون. وأن يتم تجريد شعب من مميزاته ورميه بأبشع الصفات، لا يظلم شعباً ولا يؤسس لعداوة فقط، ولكن يظلم العقلانية والحقيقة.

أما ثالث الكوارث، التي يجب أن نصارح بها أنفسنا، نحن المصريين، فهي نظرة التعالي التي نضحت من غضب المشجعين والمعلقين الرياضيين بخاصة، ولم تصب الجزائريين فقط، لكنها عكرت النيل الذي يسقينا، واستقرت في قلوب عرب كثر من غير المصريين الذين شملهم المن وشملتهم المعايرة العامية التي فتحت لها الفضائيات أبوابها. لقد بات معروفاً، من أين ينبع الشر، ولكننا لم نعرف بعد إلى أي مصرف يجب أن نصرفه، وهذا العدد « من أجناد الأدب » لا ندعي به قدرتنا على صد الطوفان، ولا ندعي به قدرتنا على إزالة الكراهية في غمضة عين، لكنه محاولة لإعادة الاعتبار للعقل.